

موسيقى النص الشعري لصور الثبات والمواجهة الإيجابية للحرب في الشعر الجاهلي

دكتورة رجاء لازم رمضان

اختصاص الأدب الجاهلي

كلية التربية الأساسية

قسم اللغة العربية

الملخص

لعل الحرب كانت من أكثر الأمور الاجتماعية التي واجهها الشاعر بعزم وقوة إرادة وأن الشاعر الجاهلي أظهر قدرته وثباته في الحرب من خلال الفخر بنفسه أو من خلال حوار مع عائلته أو مع المرأة التي أوضح من خلالها قوته وصلابته في الحرب فضلاً عن استعداد الخيل للمواجهة والتي هي مرآة عاكسة للشاعر . وقد توافقت مقاطع الثبات في الحرب على أن يكون البحر الطويل مركز الصدارة وذلك لقدرته على متابعة دقائق الصورة واستيعابها ، فالطويل ميدان الشاعر الحقيقي الذي يظهر فيه قدرته الفنية ، والشاعر الجاهلي في حالة ثباته في الحرب يعمد الى القوافي التي تقلل من حدة طبعه وتجعله في حالة الهدوء والاستسلام للأمر بعيداً عن الصخب والانفعال .

Abstract

Literature Abstract Perhaps the war was one of the most social issues faced by the poets intention and the power of the will and that the poet has shown his ability and persistence of the war through pride himself or through his dialogue with Aazlth or with the woman he said through his strength and hardness in the war as well as the willingness of horse Musbandhwalta is a mirror reflecting the Haaroukd coincided clips consistency in Aharbaaly that does not have the sea long center Alsaddarhozlk for its ability to follow – up minutes the picture and absorbed , Vataiwal field poet , the real show in which technical capacity , and the poet in the case of stability in the war intentionally rhymes that reduce the severity of printing and make it in the case of calm and surrender to something far from the bustle and excitement .

المقدمة :-

كانت البنية الاجتماعية التي وجد الفرد الجاهلي نفسه منتمياً إليها دائراً في فلكها بنية ذات خصائص متميزة فهي بنية قبلية تقوم على رابطة الدم بين الاسر والأفراد ثم بين القبائل التي كان جذب البيئة الصحراوية وقسوة مناخها وشحة موارد العيش فيها عوامل تدفع إلى التنافس الذي قد يتطور إلى صراع تمثل في حروب سريعة حاسمة أو حروب طويلة يغدو الباعث على تكرار معاركها الانتقام وإدراك الثأر بعد نسيان السبب الذي بعث على نشوب أولى معاركها ، ولم يكن أمام الفرد الجاهلي الا ان ينحرف في تيار واقعه القبلي فيخوض الحرب امتثالاً لإرادة قبيلته. ويحجم عنها انتثالاً لإرادتها أيضاً وهو يمارس الأمرين بدافع انتمائه الذي جعل واقع الحرب واقع حياة لا بد له من مواجهته متدرعاً بقيم الفروسية التي غدت عرفاً أخلاقياً موروثاً ومن هنا تكررت في القصائد الجاهلية صور الثبات في سوح المواجهة والتعبير عن الاقتدار المتجاوز لمشاعر الخوف والتردد . وعليه يمكننا تقسيم البحث الى :-

المبحث الأول - صور الثبات والمواجهة الايجابية في الحرب) .

اولاً - صور الفخر الذاتي .

ثانياً - صورة المرأة .

ثالثاً - صور الخيل .

رابعاً - صور الفخر بالآخرين .

المبحث الثاني (موسيقى النص الشعري) .

اولاً - الوزن .

ثانياً - القافية .

المبحث الأول

صور الثبات والمواجهة

أولاً : صور الفخر الذاتي :-

كانت حياة العربي ، في عصر ما قبل الاسلام صراعاً دائماً بينه وبين بيئته الصحراوية القاسية ، فكل شيء فيها يوحي بأن البقاء للأقوى^(١) .
ومن هنا كانت الحرب عندهم تهيج لأوهى سبب ، وتشن لادنى حدث ، واحياناً تظل ملتتهبة بين القبائل اعواماً ، ولا تهدأ نيرانها^(٢) .

والحرب ظاهرة اجتماعية صحبت الانسان منذ فجر التاريخ ، وان تباينت الصور التي جاءت فيها ، فالحياة البدوية ، بطبيعتها الصحراوية وظروفها الحيوية ، كانت منطلقاً واسعاً ، وميداناً فسيحاً لقيام الحرب وهي بالوقت نفسه وهبت العربي حب الانطلاق ، فعاشت الحرية في دمه فقدسها ، وهو يأبى العبودية ، ويتمرد على الهوان ولا يخضع للمذلة ويفضل الموت تحت صليل السيوف ، من ان يعيش عبداً ذليلاً في ظل نعيم وافر^(٣) . فكان فخره يدور حول التحدي والثبات في المعركة ، وعدم الفرار ، وتفريج الكروب في الشدائد بالسلاح ، وتجلده على ظهر الخيل ، وعدم انحرافه عن الطعن ، فهو يبقى في ميدان الحرب الى ان يفوز بالنصر^(٤) . وقصيدة الحصين بن حمام المري ، جاءت تصويراً لقدرة الشاعر على التصدي لويلات الحرب لان الثبات سجية الابطال :-

صبرنا وكان الصبر فينا سجيةً	بأسيا فإنا يقطعن كفاً ومعصما
يفلقن هاما من رجال اعزة	علينا وهم كانوا أعق وأظلما
نطاردهم تستنقذ الجرد كالقنا	ويستنقذون السّمهريّ المقوما
عشيّة لا تغني الرماح مكانها	ولا النبل الا المشرفيّ المصمّما
لذن غدوةً حتى اتى الليل ما نرى	من الخيل الا خارجياً مسوماً ^(٥) .

والحديث عن المواقف في الحرب يرتبط بالفخر الذاتي للشاعر نفسه ، ولم يقصر فخره على الكرم ، كما هو شائع فحسب وانما فخره بشجاعته واقدامه على ويلات الحرب ، فعروة بن الورد لا يبالي بمن يلاقيه من الابطال المدججين بالسلاح لانه قد اعدّ لهم سيفاً مجرباً ، قائلاً في ذلك :-

إذا قيل يا ابن الورد أقدم الى الوغى!	اجبت ، فلا قاني كميّ مقارع
فلا انا ممّا جرّت الحرب مشتكٍ	ولا انا مما احدث الدهر جازع ^(٦) .

ونجد في هذه الصورة بروزاً لمعاني الفروسية التي عرفت في العصر الجاهلي ممتزجة مع معانٍ أخرى ، كانت وليدة لحالة نفسية عنيفة أثارتها تجربة آنية ، فاتخذها الشاعر متنفساً ينطلق منه ، معبراً عن ثورة مشاعره الذاتية ، محدداً اطار وجود تلك الذات الانسانية المتميزة ، فهذا كليب يعبر في نونيته عن ثباته في وقعة خزار بقوله :-

لقد عرفت قحطان صبري ونجدي
غداة خزازٍ والحتوف دوان (٧).

نجد أنّ المعاني جاءت متسمة ببساطتها وصدقها ، متخذة الوصف عماداً لها ، ومعبرة عن الحالة النفسية التي جاءت ملائمة للواقع المعبر عن تلك العاطفة. وقد جعل المهلهل بن ربيعة هذه الصفة دائمة له ولاخيه لتدل على تمكنهما من الحرب ولشجاعتهما ، بقوله :-

وصبرنا تحت البوارق حتى
ركدت فيهم السيوف طويلاً (٨) .

لقد كان من القيم التي آمن بها العربي التصدي للاعداء في القتال ، وتلبية النداء التي تعد من ابرز صفات الفارس العربي فالأبيات تنم عن روح الفروسية في ذلك المجتمع الذي يعدّ الحرب مجالاً لاظهار الشجاعة وامتحاناً للباس والرجولة ومن هنا كان للشاعر قيس بن الخطيم أن يصور نفسه مواجهاً للحرب وقادراً عليها ، بقوله :-

فإذ لم يكن عن غاية الموت مدفعُ
فأهلاً بها اذا لم تزل في المراحب (٩).

وكان لكثرة الوقائع والحروب في حياة العرب آثار متشعبة ، فقد أسفرت بعض الحروب عن وقوع عدد من الاسرى في أيدي الأعداء فعانوا من القيود والاضطهاد ولكن هنالك من الشعراء من تحمل هذه الآلام مدعياً الصلابة ، خافياً معاناته ، متحدياً خصومه ، ومظهراً عزمته ، وقد صور هذه المعاناة بعزم واردة قوية الشاعر عبد يغوث ، بقوله :-

فيا عاص فك القيد عني فأني
صبورٌ على مر الحوادث ناكيا (١٠).

وعندما استخفت به إحدى النساء في سجنه ، قال راداً عليها :

فيا راكباً اما عرضت فبلغن	نداماي من نجران ان لا تلاقيا
اقول وقد شدوا لساني بنسعة	أمعشر تيم اطلقوا عن لسانيا
فان تقتلونني تقتلوا بي سيداً	وان تطلقوني تحربوني بماليا
وتضحك مني شيخه عشمية	كأن لم تر قبلي أسيراً يمانيا
وقد علمت عرسي ملكية انني	انا الليث معدواً عليه وعاديا (١١).

وقد يببالغ الشاعر في فخره اذ يجعل من نفسه مثلاً يحتذى لاقرانه في التحدي الذي جعله سمة بارزة في شعره وصفة خاصة في حياته ، جاعلاً من نفسه رئيساً وهم حوله كالجنود ، منه يتعلمون وهم موضع ثقته واعتزازه :-

وفارس لي قد علمتهم	صبرٌ على التكرار والكلم
يمشون والماديّ فوقهم	يتوقّدون توقّد الفحم
كم من فتىّ فيهم أخي ثقة	حرّ أغرّ كغرة الرّيم
ليسوا كأقوامٍ علمتهم	سود الوجوه كمعدن البرم ^(١٢) .

لقد كان عرب ما قبل الاسلام يتغنون كثيراً بالفروسية والاقدام في الحرب ، وكانوا يقولون " إن الشجاعة وقاية ، والجبن مقتلة ، وان من يقتل مدبراً أكثر ممن يقتل مقبلاً " ^(١٣) ؛ ومن المسلم به أن الحرب من العوامل المؤثرة على العواطف ، فهي تحرك الوجدان بمظاهرها وتلهب المشاعر بأحداثها ، وتذيب النفوس بآثارها ونتائجها ومن هذا المنطلق عبر عننترة عن إقدامه في الحرب :-

ولقد حفظت وصاة عمّي بالضحي	إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم
في حومة الموت التي لا تشتكي	غمراتها الابطال غير تغمغم
إذ يتّقون بي الأسنة لم أحم	عنها ولو أني تضايق مقدمي ^(١٤) .

فالتحدي أداة العربي ووسيلته لتجاوز صعوبة العيش وضمنك الايام وسلاحه القوي المؤثر ، وهو الذي يضيف الى شجاعته اقتداراً وقوة في ميدان الحرب ، وان طبيعة الحياة الصحراوية التي عاشها العربي جعلت القوة من المستلزمات التي لا يستغني عنها ، ولاسيما ان نيران الحرب كانت تشتعل بين القبائل العربية بسبب التنازع على المراعي والحصول على لقمة العيش في صحرائهم الشحيحة ، أو قد يخوضونها حمايةً لجارٍ او اجابة ملهوف يبغي المساعدة . ومن الشعراء من يتخذ من التحدي والمواجهة درعاً يتقي به ، عندما تشتد الرياح عليه في المعركة ؛ وقد جسد ذلك بشر بن أبي خازم ؛ في قوله :-

صبوراً عند مختلف العوالي	إذا ما الحرب أبرزت الكعابا ^(١٥) .
--------------------------	--

ويذكر مالك بن نويرة الأعداء بشجاعته وصولاته في الحرب فهو النار التي تنلطي في الروابي ، فيخشى الأعداء الاقتراب منها ويتجنبون لهيبها فيقول :-

ألم أك نار رابية تُلظّي	فتتقيا أداي وترهباني ^(١٦) .
-------------------------	--

بصورة طبيعية ، فكانت المرأة باعثاً من بواعث استبسال الشاعر وتحليه بصفة الشهامة والكرم والإباء والصبر وحماية الجار وغيرها . وذلك ما نلمحه في دالية عمرو بن معد يكرب التي يقول فيها :-

لما رأيت نساءنا يفحصن بالمعزاء شدّا
وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدى
وبدت محاسنها التي تخفى وكان الامر جدا
نازلت كبشهم ولم أر من ترال الكبش بدا (٢١).

فالمراة تعدّ دافعاً قوياً أدى الى افتخار الشاعر بنفسه في مواجهة نيران الحرب ، فعامر بن الطفيل يطلب من زوجته أن تسأل عن شجاعته يوم لقي (صداء) وخاض هول المعركة التي ضج وفرّ منها الابطال بل أن جواده (دعلجاً) اشتكى بحمحمته من هول الرماح وظل هو صابراً يكرّ على الخصم بروح الفارس ؛ اذ يقول :-

طلّقت إن لم تسألني ايّ فارسٍ حليلك اذ لاقى صداء وختعما
أكرّ عليهم دعلجاً ولبانه إذا ما اشتكى وقع الرّماح تحمحا (٢٢).

والبطولة تقتضي الشهرة . والشهرة لا تأتي لعبد مغمور كعنترة الا مع الاناة وخوض نار الحرب، لا حباً بالغنيمة ، وإنّما لأثبات وجود الذات الحرة الممارسة لقيم الفروسية الحقّة :-
يخبرك من شهد الوقائع أنني أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم (٢٣).

وقد صوّر الشعر الجاهلي ملامة الزوجات على مخاطرة ازواجهن ، والقاء انفسهم في مواطن الاخطار فما كان من الشاعر الا ان يظهر شجاعته ومقدرته على اقتحام هذه المخاطر متحملاً صعابها ، فيرد كعب بن سعد الغنوي على عاذلته ؛ قائلاً :-

ألم تعلمي ألا يراخي منيتي قعودي ولا يدني الوفاة رحيلي
مع القدر الموقوف حتّى يصيبني حمامي لو أنّ النّفس غير عجول
فإنّك والموت الذي ترهبينه عليّ وما عدّالة بغفول
كداعي هديلٍ لا يجاب إذا دعا ولا هو يسلو عن دعاء هديل (٢٤).

ويؤكد عنترة على عدم اكترائه بالحرب واستمراره في تصوير مقاومته للاعداء وذلك في خلال حواراه مع عاذلته ، فيقر لها إنه إن لم يكن تفادي الموت ممكناً فإنّ الخوف منه عبث لا طائل من ورائه :-

بكرت تخوفني الحتوف كأنني
فأجبتها ان المنية منهل
فاقني حياءك ، لا أبالك واعلمي
إنّ المنيّة لو تمثل مثلت
أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
لابد ان اسقى بكأس المنهل
أني امرؤ سأموت إن لم اقتل
مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل^(٢٥).

ونجد المرأة في حالة قلق مستمر على مصير الشاعر عند ركوبه أهوال المعارك ، فضلاً عن خوفها من فقدانه الى الابد ، فاصبحت اكثر النساء يتوجسن من مصيرهن معهم ولاسيما الشعراء الصعاليك ، فما كان من هؤلاء الشعراء الا ان يستغلوا هذه الظاهرة في التركيز على قدرتهم وشجاعتهم على الاقدام في الحرب ، يقول تأبط شراً :-

وقالوا لها لا تنكحيه فإنه
فلم تر من رأي فتيلاً وما درت
لأول نصل أن تلاقى مجمعا
تأيمها من لابس الليل اروعا^(٢٦).

فكانت وقفة يتعمدها الشاعر لتلخيص تجربته تقديم موقف فكري منها ، فتبقى تفاصيل الطرح والمعالجة فيها معتمدة على نوع التجربة ، ولنا أن نلاحظ ذلك في هذا النص الذي قاله الشاعر نتيجة لظرف آني احدث في نفسه صدعاً عميقاً جعله يبتدئ النص في تناوله مباشرة .
ويكاد عنتره يستثير عادلته حين يواجهها بإصراره على خوض الحرب ونفسه الطويل عليها ، فيقول :-

أعادل كم من يوم حربٍ شهدته
فلم ار حياً صابروا مثل صبرنا
له منظر بادي النواجذ كالح
ولا كافحوا مثل الذين نكافح^(٢٧).

ثالثاً : صور الخيل :-

إنّ قدرة الشاعر وبراعته لم تكتم بالفخر بنفسه وشجاعته في الحرب ، فحسب بل امتدت الى وصف الخيل وصلابتها في الوغى ، وقد حظيت الخيل عند العربي بمنزلة رفيعة ، فقد احبها واهتم بتربيتها واعتنى بها . ولم تكن العرب في عصر ما قبل الاسلام تصون شيئاً من اموالها وتكرمه كما كانت تكرم الخيل وتصونها ، لما لها من نفع كثير فقد كانوا يدافعون بها عن ذمارهم ويطلبون بها ثاراتهم^(٢٨) . لذا كان من الطبيعي ان يتغنى العربي بامتلاكه الفرس الذي يعده مظهراً من مظاهر الشجاعة والفتوة والقدرة على التحمل ، لانه من الاسلحة الذاتية التي اعتمد عليها في حياته ، مبرزاً من خلالها اهم صفة افتخر بها الشاعر لما تظهره من شجاعة وتفوق على اجتياز الشدائد ، ودفع الملمات وتحمل الاعباء ، وغيرها من المعاني التي يمكن ان يؤديها الشاعر ، ويحرص على الالتزام

بها ، ويجد في ادائها ضرباً من المروءة ولوناً من الفروسية ، وجاء في بائية علقمة الفحل وصف لفرسه ولقدرته على تحمل التعب والجهد ؛ في قوله :-

أخا ثقة لا يلعن الحيّ شخصه صبوراً على العلات غير مسبّب (٢٩).

وقيادة الخيل في شدة وطأة الحرب وقسوتها امر صعب لا يرتقي إليه إلا ذو بأس وجلد ، يقول طرفة بن العبد في ذلك :-

نمسك الخيل على مكروها حين لا يمسكها إلا الصّبر (٣٠).

فهي تستجيب لارادة البطل الفارس في اقدامه واقتحامه الحرب ؛ يقول عنتره في ذلك :-

ولقد كررت المهر يدمى نحره حتّى انقتني الخيل يا بني حذيم (٣١).

وقد يدعو الفارس فرسه الى التحلي بالقوة للمواجهة اذا شعر بوقع الرماح عليه ، لينالا شرف النصر معاً ، كقول عامر بن الطفيل :-

إذا أزرّ من وقع الرّماح زجرته وقلت له : ارجع مقبلاً غير مدبر
ألست ترى أرماحهم فيّ شرعاً وانت حسانُ ماجد العرق فأصبر (٣٢).

فالخيل تخوض الحرب كما خاضها الفارس ، وتخرج منها محجلة القوائم دماً بعد وطئها القتلى ، وهي بعد هذا تأتي بالغنم فمن يعرف ايامها تعقبه الخير ، قال طفيل الغنوي في ذلك :-

طوامح بالطرف الظراب اذا بدت وللخيل ايامُ فمن يصطبر لها
محجلة الايدي دماً بالمخضب ويعرف لها ايامها الخير تعقب (٣٣).

ان هذه الدقة في التعبير تدل على براعة الشاعر في صياغة معانيه بأسلوب رفيع وبعبارة موجزة تتبع من الذات ، وتستمد من شخصيته المبدعة في عملية الخلق الشعري ، وعليه فقد اسبغ الشعراء صفة الثبات على انفسهم اولاً وعلى خيلهم ثانياً ، (فالاقبال والعزم) ضروري في اقتحام الحرب وانتزاع النصر فيها .

رابعاً : صور الفخر بالآخرين :-

وبعد ان صور الشاعر قوته وصلابته في خوض الحرب اتجه ليصور لنا صور اخرى لآخرين وبطولاتهم في المعركة ، فهو الصوت الذي يجهر بمآثر قبيلته لتطغى سمعتها على سمعة غيرها من القبائل ، فقد كان عليه ان يشيد برجالها وبصلابتهم في الحرب وبنفسهم الطويل عند اقتحامها ، وعبر عن ذلك كعب بن زهير مفتخراً بقومه مشبهاً اياهم بالليوث ؛ وذلك في قوله :-

إني أمرؤ أقني الحياء وشيمتي
من معشر فيهم قروم سادة
كرم الطبيعة والتجئب للخنا
وليوث غاب حين تضطرم الوغى^(٣٤).

وطبيعي ان يفخر الشاعر الجاهلي بقومه فهو يرى فيهم الشجاعة والقوة والرزانة . وكانت قيمة
الاصرار تستخدم الى جانب البطولة والشجاعة في تصوير شخصيات ممدوحى الشعراء فهم يحاولون
ان يصفوا ممدوحهم بالصلابة والقدرة على التحمل في الحرب ، كما فعل دريد بن الصمة مع ممدوحه
عبد الله بن جدعان ؛ بقوله :-
وجلد اذا الحرب مرت به

يعين عليها بجزل الحطب^(٣٥).

ويقترن هذا الاصرار في الحرب عند الفارس بالوقار والتعقل وعدم الاكتراث من المواجهة
والتحدي ، بل هي سمة من سمات الفارس المغوار ، قال الحطيئة :-
مطاعين في الهيجاء بيض وجوهم
إذا ضج أهل الروع ساروا وهم وقر^(٣٦).

ونجد في هذا الباب بروزاً لمعاني الفروسية التي عرفت في عصر ما قبل الاسلام ممتزجة مع
معانٍ اخرى ، كانت وليدة لحالة نفسية عنيفة أثارتها تجربة آنية، فاتخذها الشاعر متنفساً ينطلق منه ،
معبراً عن مشاعره الذاتية في اطار تلك الذات الانسانية ، والمفضل النكري وهو من اصحاب
المنصفات يبدي اعجابه
بأعدائه ، وينصفهم انصافاً ظاهراً ويشيد بنباتهم في الحرب وتحمل مكارهها ؛ قائلاً :-
هم صبروا وصبرهم تلئد
على العزاء اذ بلغ المضيف^(٣٧).

المبحث الثاني

موسيقى النص الشعري :-

تعدّ بنية القصيدة العربية بنية موسيقية متكاملة^(٣٨)، فهي " سلسلة من الأصوات ينبعث عنها
المعنى "^(٣٩)، والشاعر - ككل فنان - يحاول ان يكوّن نوعاً من التوافق النفسي بينه وبين العالم
الخارجي عن طريق ذلك التناغم الموسيقي الذي يهيء له حالة من الاندماج مع مظاهر التناسق
والإيقاع في العالم الخارجي المنطبعة في نفوسنا في الوقت نفسه على نحو آخر . والتشكيل الشعري
في النظرية البنائية هو " شكل صوتي متكرر "^(٤٠) فالموسيقى تمنحنا مفاتيح النص الذي نقرؤه سواء

أكانت قراءتنا للمتعة وحدها ام للبحث في مكامن أسرار تكوين مستويات النص المختلفة. فبين معنى الشعر وموسيقاه ارتباط حيوي وكلنا يعرف ان معنى القصيدة قد يضيع تماماً اذا ترجمت كلماته منشورة ويمكننا ان نسلط الضوء الى موسيقى النص الشعري للنبات في شعر الحرب عن طريق :-

أولاً - الوزن :-

عرف القدماء الشعر بأنه " قول موزون مقفى يدل على معنى " (٤١) والموسيقى اساس في الشعر ، كما هي أساس في الغناء وعليه " فإنّ خلو الشعر من الوزن يحرمه خاصية من خواص جماله وتأثيره " (٤٢). ويأتي استخدام الشاعر الجاهلي للبحور لا ارادية وهذا ما أشار اليه إبراهيم أنيس (٤٣)، ولكن يمكن تحديد القدرة الابداعية للشاعر على رسم الصورة المؤثرة في المتلقي وتبيان ثبات الشاعر في الحرب عبر الاداء الموسيقي ، فنحن لا ننكر أنّ للبحور ميزات ومنازل، ويبدو أن اختيار الشاعر لبحر من البحور الشعرية كان يعتمد على " ضرب من اقتران الحالة الشعورية بالاداء النغمي الذي يمتلك القدرة الايقاعية المهيأة لاستيعاب التجربة الانية فقد تشير بعض الحقائق إلى أنّ اختيار الشاعر الجاهلي لوزن نموذج يظل وثيق الصلة بالابعاد النفسية " للتجربة الانية " التي تستشيره الى القول ، وتحمل صلب " نموذج الفني " (٤٤). ويميل الشاعر الجاهلي في الشعر الذي يغلب على أبياته الثبات في المواجهة الى استعمال البحر الطويل (٤٥) حيث هياً هذا البحر نفساً طويلاً مناسب الحدّث الذي عاشه ، ووجدنا الشاعر قد نظم في هذا البحر أكثر أبياته، وهذه الأبيات كلها جادة وعميقة يتلاءم معها البحر الطويل اكثر ما يتلاءم مع غيرها وهذا ما أكد عليه صاحب المرشد في قوله " الطويل والبسيط أطولا بحور الشعر العربي وأعظمها أبهة وجلالة واليها يعمد اصحاب الرصانة وفيهما يفتضح أهل الركافة والهجنة ... " (٤٦).

فالشاعر في حالته يتخير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع يصب فيه بطولاته وقدراته على التحمل ، وهذا ما عبر عنه الشاعر الحصين بن حمام المري في قصيدته الميمية التي ابان فيها عن قدرته الكبيرة في الأداء النفسي والتعبير عن سجية الابطال في التأكيد على كلمتي (الصبر) و (يستتقد) بتكرارهما مما هياً له القدرة على تصوير الحالة فضلاً عن استخدامه التضاد بين (غدوة) و (الليل) وكرر الشاعر حرف السين في أكثر من كلمة ، وهو من حروف اللين ليحدث تناغماً موسيقياً وكان البحر الطويل قادراً على احتواء بطولة الشاعر والفخر بنفسه في قوله :-

صبرنا وكان الصبر فينا سجية	بأسيافنا يقطعن كفاً ومعصما
يفلقن هاما من رجال اعزة	علينا وهم كانوا اعق وأظلما
نطاردهم تستتقد الجود كالقنا	ويستتقدون السّمهري المقوما

عشية لا تغني الرماح مكانها
 لدن غدوة حتى أتى الليل مانرى
 ولا النبل الا المشرفي المصمما
 من الخيل الا خارجياً مسوماً^(٤٧)

وكان البحر الطويل مناسباً للشعر الذي يغلب على مقاطعة التحلي بالثبات والقدرة على المقاومة وان كان يخيم على اجوائه الخوف والألم ، فقصيدة عبد يغوث تظهر الاحساس بالألم من شدة اليأس الذي تسرب الى الشاعر والانسحاق النفسي المنبثق من استخدام الألفاظ التي تعبر عن الصوت العالي الذي يطغى على كل شيء يدور حوله في وضوح الجرس الصوتي ، فالأصوات تتبثق من الركوب والتبليغ والقول وحركة شد اللسان والطلب باطلاقه ، الى حرمانه من سماع نشيد الرعاة الى صوت ضحك الشيخة العبشمية ، فتكرار الصوت يلح عليه لما في ذلك من ظهور الفروسية وسيادتها على نحو عام بما يمنح الأداء الفني سرداً قصيصاً في القصيدة جميعاً .

وإن تكرار حرف القاف الحلقي ، ساعد على تصاعد الجرس الموسيقي فضلاً عن تكرار الكلمات (تقتلونني وتقتلوا) والتضاد في (شدوا واطلقوا) والترصيع الوارد في القصيدة والتشديد في (بلغن) جاء مناسباً مع نفي اللقاء . فضلاً عن كون البحر الطويل ، قد استوعب معاناته المرة في رثائه لذاته ويأسه من مصيره الذي أنبأنا به ألفاظ الأبيات التي تدل على استحالة العودة الى قومه والى حياته السابقة .

على أن تكرار صورة اليأس في صياغات مختلفة أضفت طابعاً مأساوياً متتامياً بعد الأداء الموسيقي الداخلي ، وظلت الموسيقى الحزينة العالية تطغى على القصيدة مما حفزت حاستي السمع والبصر لدى المتلقي للتعاطف مع الشاعر والتأثر لحالته النفسية وكأن القصيدة بصخب ايقاعها وجرسها تنادي لانفاذه او هي تعويض عن لسانه المشدود لتخليصه من الأسر ، ورثاء الشاعر لنفسه في البحر الطويل كان متلائماً مع قافية الياء المتبوعة بالألف على الرغم من الحزن المخيم على جو القصيدة فإن الشاعر كان قادراً وقوياً على مواجهة الصعاب وهو القائل:-

فيا راكباً إما عرضت فبلغن
 اقول وقد شدوا لساني بنسمة
 انداماي من نجران ان لا تلاقيا
 أمعشر تيم اطلقوا عن لسانيا
 وان تطلقوني تحربوني بماليا
 نشيد الدعاء المعزيين المتاليا
 أحقاً عباد الله ان لست سامعاً
 وتضحك مني شيخة عبشمية
 كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً^(٤٨)

ولقد نال البحر الكامل المرتبة الثانية^(٤٩) من بحور النصوص التي يغلب عليها المواجهة الايجابية للحرب ، وهو بحر مشهور بقدرته على أداء الجلبة والاندفاع^(٥٠) ، وتفعيلاته " من النوع

الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف" (٥١) ، وكان لمجيء هذا البحر أهمية كبيرة تفصح عن مدى اعتماد الشاعر عليه حيث يعدّ من أكثر البحور جلبية وحركة وفيه لون خاص من الموسيقى أسبغت عليه غنائية عالية تنسجم مع عواطف الشاعر الجاهلي وأحاسيسه مما حدا بالشاعر إلى الإكثار من استعماله في مذهب الرقة واللين تارة ومذهب الجلالة والجزالة تارة أخرى ، وعندما اراد عنتره العبسي (٥٢) ان يصور لنا حالته وغربته النفسية لجأ الى استعمال الايقاع الداخلي الذي منحه قدرة الأداء النفسي المتمثل من تكرار الكلمات (الحتوف ، المنية ، المنهل ، مثل) فالمعنى الذي استوعبه البحر الكامل قد أكتسب القدرة على الاهتمام والاعتزاز بالفروسية في المواقف الحرجة ، على أننا لا نعدم حيوية البحر الكامل الذي جاء مجسداً فيه للانفعالات التي اعتملت في صدر عنتره وحماسته وفرحه وفخره لما لبحر الكامل من " لون خاص من الموسيقى يجعله جليلاً مع عنصر ترنمي ظاهر" (٥٣) ، ثم يأتي البحر الخفيف والوافر وباقي الأوزان الأخرى حسب الجدول. (٥٤)

جدول - ١ -

الأوزان الشعرية التي غلب عليها الثبات في الحرب

العدد	الأوزان
١٥	الطويل
٧	الكامل
١	الخفيف
١	الوافر
١	مجزوء الوافر
١	البسيط
١	الرمل
١	السريع
١	المتقارب
٢٩	مج

ثانياً :- القافية :-

القافية ختام البيت من الشعر سميت بهذا الاسم ، لأنها في آخر البيت " مأخوذة من قفوت فلاناً إذا تبعته ... وقافيته الرأس مؤخرة " (٥٥) وسمة القافية في النظم التكرار . وقد قال ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) إنّ القافية تشترك مع الوزن " في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية " (٥٦) وأهم حروف القافية هو حرف الروي " وهو النبرة او النغمة التي ينتهي بها البيت ويلتزم الشاعر تكراره في ابیات القصيدة " (٥٧) والقافية نوعان مطلقة ومقيدة. (٥٨)

أ- القافية المطلقة: (٥٩)

وهي التي يكون حرف رويها متحركاً بالحركات المعروفة ، وهذا النوع من القافية هو الذي ينطبق عليه القسم الأعظم من النصوص التي وردت فيها مقاطع الثبات في المواجهة ، فقد درسنا (٢٩) بيتاً جاهلياً تقريباً ووجدنا ان عدد الأبيات ذات المجرى (٦٠) المكسور تؤلف (١٥) بيتاً وان عدد الأبيات ذات المجرى المفتوح تؤلف (١٠) ابیات ، اما عدد الأبيات ذات الروي المضموم (٣) أبيات ، وان الروي المتحرك هو الكثير الشائع في الشعر العربي ويلتزم الشعراء حركته هذه مراعاة تامة لا يحيدون عنها. (٦١)

وربما تقود كثرة ورود الكسرة حركة للروي في الشعر المتضمن لأبيات الثبات والمواجهة في الحرب الى كونها تشعر بالرقّة واللين (٦٢) ، ولأنها يمكن الحصول عليها من المضاف اليه والمجرور بالحروف وتوابعها ولأنها ربما استعويض عنها بياء الاسم المنقوص او بياء المتكلم او بياء المخاطبة .

ب- القافية المقيدة :- (٦٣)

وهي التي يكون حرف رويها ساكناً (٦٤) ، ومثلما كان " هذا النوع من القافية قليل الشيع في الشعر العربي " (٦٥) ، فإنه كان قليل الشيع في النصوص التي تضمنت مقاطع الثبات والمواجهة الايجابية في الحرب . اذا اقتصر على بيت واحد فقط من مجموع (٢٩) بيتاً .

جدول - ٢ -

قوافي النصوص التي وردت في مقاطع الثبات في الحرب .

المقيدة	القوافي المطلقة				القافية
	الضميمة	الفتحة	الكسرة	العدد	
/	/	٢	٥	٧	م
/	/	١	٤	٥	ب
١	١	/	٢	٤	ر
/	/	١	٢	٣	ل
/	١	١	/	٢	ع
/		/	٢	٢	ن
/		١	/	١	ي
/		١	/	١	هـ
/		١	/	١	د
/	١	/	/	١	ح
/		١	/	١	أ
/		١	/	١	ف
١	٣	١٠	١٥	٢٩	مج

الخاتمة

١- لقد كانت الحياة البدوية وطبيعتها الصحراوية ميداناً فسيحاً لقيام الحرب ، ولعل الحرب كانت من أكثر الأمور الاجتماعية التي واجهها الشاعر بعزم وقوة ارادة ورأينا كيف أن الشاعر أظهر قدرته وثباته في الحرب عن طريق الفخر بنفسه ومن خلال حواراه مع عاذلته أو مع المرأة التي اوضح من خلالها قوته وصلابته على قيادة الحرب ، على ان الشاعر لم يكتف بذكر صور الفخر بنفسه في الحرب فحسب ، بل صورّ لنا قوة الخيل واستعدادها للمواجهة كانت مرآة عاكسة للشاعر ولو بصورة غير مباشرة ، فضلاً عن ظهور صور أخرى لشعراء يفخرون بقبائلهم او بشخصيات معينة او حتى ينصفون اعدائهم في الحرب .

فالحرب بعد ذلك تتطلب الثبات والصمود لأهوال المعارك ؛ ولهذا كانت هذه الصفة من صفات المفاخرة للمحارب الشجاع التي يكثر من ذكرها الشعراء عن المحاربين الأبطال .

٢- نلاحظ في مسألة البحور الشعرية التي أتت إليها مقاطع الثبات في الحرب ، فقد توافقت هذه المقاطع على أن يكون البحر الطويل في مركز الصدارة ؛ لقدرته على متابعة دقائق الصورة ، واستيعابها مما لا يتيسر مع البحور القصيرة، فالطويل ميدان الشاعر الحقيقي الذي تظهر فيه قدرته الفنية . فضلاً عن استخدام الشعراء لبعض الظواهر الداخلية التي كان لها الأثر الواضح في موسيقى النص الشعري والمتمثلة ب (التكرار والطباق) ، فقد أضافا على الأبيات الشعرية عنصر الجمال ، فكان نتاج هذه البحور والظواهر الإيقاعية هذا الانسجام الصوتي الذي ربما كان هاجس الشاعر الأول فضلاً عن طموحه الى إتمام المعنى ، وتقويته ، واستدراة قناعة المتلقي بمضامينه.

٣- وتوصلنا إلى أن الشاعر الجاهلي في حالة ثباته في الحرب يعمد الى القوافي التي تقلل من حدة طبعه ، وتجعله في حالة الهدوء ، والاستسلام للأمر ، بعيداً عن الصخب والانفعال .

الهوامش

١. ينظر : الفروسية في الشعر الجاهلي / ٤٦ .
٢. ينظر : الشعر الجاهلي / ٩٢ . وينظر : فن الفخر وتطوره في الادب العربي / ٦ .
٣. ينظر : الفروسية في الشعر الجاهلي / ٧٥ .
٤. ينظر : شعر الحرب في العصر الجاهلي / ٢٠٩ .
٥. ديوانه / ١١٢ .
٦. ديوانه / ٩٧ - ٩٨ .
٧. شعراء النصرانية / ١٥٦ . وقد وردت في المصدر (الحقوق) واظنها الحتوف .
٨. المهلهل حياته وشعره / ٣٢٤ .
٩. ديوانه / ٣٧ ، (الموت) : هنا الحرب .
١٠. شعراء النصرانية / ٧٩ .
١١. م . ن / ٧٩ .
١٢. شعراء النصرانية / ٢٧٥ - ٢٧٦ .
١٣. العقد الفريد / ١٠٠ .
١٤. ديوانه / ٢١٥ ، (لم اخم) : لم اجبن .
١٥. ديوانه / ٢٨ . الكعب : العظم الناشز .
١٦. شعره / ٨١ .
١٧. المهلهل حياته وشعره / ٣٦٥ .
١٨. ينظر : تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) / ٢٠٢ .
١٩. ديوانه / ٣٣٤ .
٢٠. ديوانه / ٢٢٠ .
٢١. ديوانه / ٦٨ - ٦٩ ، (يفحصن) : يؤثرن ، (المعزاء) : الارض الصلبة ، (الكبش) : الرئيس .
٢٢. ديوانه / ٢٥٥ .
٢٣. ديوانه / ٢٠٩ .
٢٤. الاصمعيات ١ / ٦٠ .
٢٥. ديوانه / ٢٥١ - ٢٥٢ .
٢٦. ديوانه / ١١٢ - ١١٣ .
٢٧. ديوان عنتره / ٢٩٩ .
٢٨. ينظر : شعر الطبيعة في الادب العربي / ١٠٨ .
٢٩. ديوانه / ٩٢ .
٣٠. ديوانه / ٦٨ .

٣١. ديوانه / ٢٢١ ، وينظر : م. ن / ٤ - ٣ .
٣٢. ديوانه / ١٠٧ - ١٠٨ (اشرعت الرمح) : أي وجهته نحوه وانت حسان أي فرس كريم شريف العرق ما ضرب فيه هجين . فاصبر معي . (ازور) : عدل ومال الى ناحية اخرى .
٣٣. ديوانه / ١٥ - ١٦ (طمح : ارتفع) ، (محجل : مقيد) .
٣٤. شرح ديوانه / ٣٣ . (الخنا) : الفساد (المعرم) : البعير المكرم ومنه قيل للسيد قوم ومقرم .
٣٥. ديوانه / ٣٣ .
٣٦. ديوانه / ١٠٢ . (الضجة) : الجزع . (الوقار) : اللحم والرزانة .
٣٧. الاصمعيات / ٢٣٢ .
٣٨. ينظر : التفسير النفسي للأدب / ٦٣ .
٣٩. نظرية الأدب / ٢٠٥ .
٤٠. نظرية البنائية / ٣٩٠ .
٤١. نقد الشعر / ١٧ .
٤٢. الحياة العربية من الشعر الجاهلي / ١٨٣ .
٤٣. ينظر : موسيقى الشعر / ١٧٧ .
٤٤. شعر اوس بن حجر ورواته الجاهليين / ٥٠٧ .
٤٥. ينظر جدول رقم (١) .
٤٦. المرشد ١ / ٣٥٩ .
٤٧. ديوانه / ١١٢ .
٤٨. شعراء النصرانية / ٧٩ .
٤٩. ينظر جدول (١) .
٥٠. ينظر : شعر اوس بن حجر / ٥٥٢ .
٥١. المرشد ١ / ٣٤٦ .
٥٢. ينظر : ديوانه / ٢٥١ ، ٢٥٢ وتكتب الأبيات في صفحة (٩) رقم (١) .
٥٣. م. ن / ١ / ٢٤٦ .
٥٤. ينظر جدول رقم (١) .
٥٥. كتاب القوافي / ٢٩ .
٥٦. العمدة ١ / ١٥١ .
٥٧. شرح تحفة الخليل في العروض والقوافي / ٣٠٧ .
٥٨. ينظر : م. ن / ٣٦٢ .
٥٩. ينظر الجدول (٢) جاءت الاحصائية من مجموع الدواوين والاختيارات التي تضمنها البحث .
٦٠. المجري هو حركة الروي المطلق ينظر الوافي / ١٦١ .

٦١. ينظر موسيقى الشعر / ٢٦٠ .
٦٢. ينظر المرشد ٢ / ٩١ .
٦٣. ينظر جدول (٢) .
٦٤. ينظر : الوافي / ٢٢ .
٦٥. موسيقى الشعر / ٢٦٠ .

المصادر والمراجع

- ١- الاصمعيات / أبو سعيد عبد الملك بن قريش الاصمعي (ت ٢١٦ هـ) ، تحقيق وشرح : احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، مطبعة دار المعارف ، مصر ، د. ت .
٢- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) / د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثامنة ، ١٩٦٠ م .
٣- التفسير النفسي للأدب / د. عز الدين إسماعيل ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
٤- الحياة العربية من الشعر الجاهلي / د. احمد محمد الحوفي ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٢ م .
٥- ديوان بشر بن ابي خازم الاسدي ، تحقيق د. عزة حسن ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ، دمشق ، ١٩٦٠ م .
٦- ديوان تأبط شراً واخباره / جمع وتحقيق : علي ذو الفقار شاكر ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٤ م .
٧- ديوان الخطيئة شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ، تحقيق : نعمان امين طه ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر ، ١٩٥٨ م .
٨- ديوان دريد بن الصمة الجشمي / قدم له د. شاكر الفحام ، جمع وتحقيق وشرح : محمد خير البقاعي ، دار قتيبية ، ١٩٨١ م .
٩- ديوان طرفة بن العبد / شرح الأعلام الشنتمري (ت ٤١٠ هـ) تحقيق : درية الخطيب ، لطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
١٠- ديوان طفيل الغنوي / تحقيق : محمد عبد القادر احمد ، دار الكتب الجديد ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٨ م .

- ١١- ديوان عامر بن الطفيل العامري / تحقيق : د. محمود عبد الله الجادر ، د. عبد الرزاق الدليمي ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ٢٠٠١ م .
- ١٢- ديوان عروة بن الورد / شرح ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) تحقيق : عبد المعين الملوح ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ، دمشق ، (د. ت) .
- ١٣- ديوان علقمة الفحل / شرح ابي الحجاج يوسف بن سليمان المعروف بالاعلم الشننمري (ت ٤٧٦ هـ) حققه لطفي الصقال ودرية الخطيب ، دار الكتاب العربي ، حلب ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٩ م .
- ١٤- ديوان عمرو بن معد يكرب / تحقيق هاشم الطعان ، سلسلة كتاب التراث ، مطبعة الجمهورية ، ١٩٧٠ م .
- ١٥- ديوان عنتره / تحقيق ودراسة : محمد سعيد مولوي ، مطبوعات المكتب الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .
- ١٦- ديوان قيس بن الخطيم / تحقيق د. ناصر الدين الأسد ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٢ م .
- ١٧- شرح تحفة الخليل في العروض والقوافي / (السيد محمد الحسين بن السيد كاظم ت ١٣٥٦ هـ) عبد الحميد الراضي ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م .
- ١٨- شرح ديوان كعب بن زهير / صنعة الامام ابي سعيد الحسن بن الحسين ابن عبد الله السكري (ت ٢٧٥ هـ) نسخة مصورة من مطبعة دار الكتب ، ١٩٥٠ م. الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- ١٩- شعراء النصرانية قبل الاسلام / جمعه ونسقه الأب لويس شيخو اليسوعي ، دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧ م .
- ٢٠- شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين / د. محمود عبد الله الجادر ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ م .
- ٢١- الشعر الجاهلي / محمد عبد المنعم الخفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣ م .
- ٢٢- شعر الحرب في العصر الجاهلي / د. علي الجندي ، مكتبة الانجلو مصرية ، الطبعة الثانية ، الجزء الأول ، ١٩٦٣ م .

- ٢٣- شعر الحصين بن حمام المري / جمع وتحقيق : مهدي عبيد جاسم (مجلة المورد) ، المجلد السابع عشر ، العدد الثالث ، خريف ، ١٩٨٨ م .
- ٢٤- شعر الطبيعة في الادب العربي / د. سيد نوفل ، مطبعة القاهرة ، ١٩٤٥ م.
- ٢٥- العقد الفريد / لابن عبد ربه احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨ هـ) تحقيق : احمد امين وصاحبيه ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .
- ٢٦- العمدة في محاسن الشاعر وآدابه ونقده / ابن رشيق (ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني ت ٤٥٦ هـ) حققه وعلق على حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل والنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢ م .
- ٢٧- الفروسية في الشعر الجاهلي / د. نوري القيسي ، مطابع دار التضامن ، بغداد ، ١٩٦٤ م .
- ٢٨- فن الفخر وتطوره في الادب العربي / ايليا الحاوي ، منشورات دار الشرق الجديد ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٠ م .
- ٢٩- كتاب القوافي / للأخفش ، تحقيق د. عزة حسن ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ، دمشق ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- ٣٠- المرشد إلى فهم اشعار العرب وصناعتها / عبد الله الطيب المجذوب ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ م .
- ٣١- موسيقى الشعر / د. ابراهيم انيس ، مكتبة الانجلو مصرية ، مطبعة الفنية الحديثة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٠ م .
- ٣٢- نظرية الأدب / رينيه ويليك ، اوستن وارين ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة الدكتور حسام الخطيب خالد الطرابيشي ، ١٩٧٢ م .
- ٣٣- نظرية بنائية في النقد الأدبي / صلاح فضل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٧ م .
- ٣٤- نقد الشعر / ابو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي (ت ٣٣٧ هـ) ، تحقيق وتعليق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٧٩ م .
- ٣٥- الوافي في العروض والقوافي / التبريزي ، يحيى بن علي الخطيب (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق عمر يحيى ، د. فخر الدين قباوة ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .